القول المُدَبَّج

بذكر وصايا في المنهج

محاضرة ألقاها

فضيلة الشيخ العلامة

عُبيد بن عبد الله بن سُليمان الجابري

المدرّس بالجامعة الإسلاميّة سابقاً

وقام فضيلته بمراجعتها بعد تفريغها

جزاه الله خيراً

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلامُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فيا معاشر السامعين والسامعات اعلموا أن الله تعالى يبتلي بالنعم ليظهرَ شكر الشاكرين الذين عرفوا فيها حقَ الله وحق عباده وأعطوا كلَ ذي حق حقه، كما أنه يبتلي بضدها من المصائب والفتن في الدين والعرض والنفس والمال ليظهر صبر الصابرين الذين علموا واستقر في قلوبهم أن الله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة والمشيئةُ النافذة والحجةُ الدامغة، فصبروا واحتسبوا كل ما يصيبهم من المصائب عند الله في ذلكم الأجر وإلى هذا الإشارة بقوله ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذلك لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» وأعظم من هذا قوله جل وعلا: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ الآية.

وأهل السنة والجماعة بدءاً من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فأئمة التابعين يدعون إلى ما ورثوه عن النبي ﷺ، من تقرير الحق والدعوة إليه والذب عنه وعن أهله، وقبل أن أذكر جملة من وصايا أئمة سلفنا الصالح من الصحابة ومن بعدهم أحب أن أُورِد بعض ما صح عن النبي ﷺ من الصبر على البلاء ومر القضاء ومقابلةِ ما يُصيب المرء من الشدائد بالصبر والاحتساب واليقين بأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرى. لقد بين رسول الله ﷺ أتم البيان فأمر ونهى وبشر وحذر ما كان لأهل السنة فيه الهدى والنور ومن ذلكم قوله ﷺ: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرون**» الحديث، أخرجه أحمد ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وله قصة.

الحديث الثاني: حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو عند مسلم عن النبي ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيّا قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيا قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تعود – يعني القلوب – عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا لاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وعلى مثل الكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشْرِبَ من هواه**».

الحديث الثالث: وهو مروي من غير وجه عن النبي ﷺ وعده أهل السنة في أصول حججهم وذبهم عن السنة وأهلها والرد على البدع وأهلها وهو حديث الافتراق ومن ألفاظه: «**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**». قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: «**الجماعة**». وفسّر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجماعة بقوله: «الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك فإنك حينئذ أنت الجماعة».

الحديث الرابع: حديث حذيفة وهو مخرج في الصحيحين وغيرهما قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِى فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِى جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ من شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ**». قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِى وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِى تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**». فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: «**قَوْمٌ مِنْ بني جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ما تأمرني إِنْ أَدْرَكَنِى ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**». فَقُلْتُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**».

أيها المسلمون والمسلمات هذا غيض من فيض، من خالطت السنةُ بشاشة قلبه وحذق آي التنزيل الكريم وأحاديث نبينا ﷺ تبين له أتم البيان أن أعداء السنة لن يسكتوا وأن أهل السنة لا ينفكون عن أذاهم ونصب المكائد لهم وبذلِ الجهد في تنفير عوام الناس وخواصهم منهم إلا من رحم الله، إذن فما يصنع صاحب السنة وقد مضى في هذا مشيئة الله النافذة وقضت حكمته سبحانه وتعالى أنه يحيى من حيى عن بينه ويهلك من هلك عن بينه؟ هذا أمر لابد منه، ألم تسمعوا قبل قليل إلى آية آل عمران: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾؟

و الجواب على هذا السؤال:

أولاً: تذكروا قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة».

وتذكروا ثانياً: قول الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إياكم وأهل الرأي أعداء السنن أعيتهم أحاديث رسول الله ﷺ أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا».

ومعنى قوله رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: «أعيتهم أحاديث رسول الله ﷺ أن يحفظوها»، يعني: لم يعبئوا بها فيستعملوها عبادة ومعاملة لأن أحاديث محمد ﷺ الصحيحة هي وحي الله إليه كالقرآن. قال الله تعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾، وقال تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾. وقال ﷺ: «**ألا إني أتيت القرآن ومثله معه**»، فذكر الحديث وفيه: «**ألا إنما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**» فمن استنكف عن أحاديث محمد ﷺ وأعرض عنها وأبى أن ينقاد لها فإنه معرض عن القرآن ومستنكف عن القرآن وآبٍ عن القرآن فهو راد له شاء أو أبى، وإن تلاه آناء الليل وأطراف النهار. لم يجعل الله نورا إلا في هذين، كتابِه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسنة محمد ﷺ فيهما الهدى والنور، وما عداهما من الأقوال والأعمال فليس فيهما هدى ولا نور، ولهذا فإن من منهج أهل السنة والجماعة أنهم يزنون ما يرد عليهم من أقوال الناس وأعمالهم بميزانين وهما: النص والإجماع. فما وافق نصاً أو إجماعاً قبلوه وما خالف نصاً أو إجماعاً ردوه على قائله كائناً من كان.

ولهذا فإن أهل السنة ينظرون إلى المخالفة والمخالف، فالمخالفة عندهم على ضربين – أعني على قسمين– :

القسم الأول: مخالفة هي مورد للنزاع ومسرح للرأي والاجتهاد، فهذه لا يثرب أحد فيها على الآخر بل يبين الراجح عنده بدليله بيانا شافيا كافيا منصفا حتى يكون المتلقي على بصيرة وبينة من الأمر.

القسم الثاني: ما ليس فيه مجالاً للاجتهاد ولا يقبل الرأي، فهذا هو الذي يشددون فيه ويستنكرون على المخالف فيه فيردونه بالدليل وغرضُهم من ذلك أن يكون التدين لله عز وجل خالصاً صافياً من كل المكدرات، خالص من شائبة الشرك والبدعة، كما أنهم ينظرون إلى المخالف، هذا الذي خالف لا يعدو حالين :

الحالة الأولى: أن يكون صاحب سنة، فإنهم مع ردهم مخالفته بالدليل القاطع والبرهان الساطع لا يتابعونه على زلته فمكانته عندهم لا تصوغ لهم متابعته ولا غض الطرف عن

مخالفته، لكنهم يحفظون كرامته ويصونون عرضه ويقولون هو أخطأ، ولهذا كانت أقوالهم – أعني أئمة السنة– بدءا من الصحابة فأئمة التابعين فمن بعدهم من أئمة القرون المفضلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية في أحاديث عده.

الحالة الثانية: أن يكون المخالف من أهل البدع فالأصل أنه لا كرامة له عندهم فيغلظون له القول، فهم مع ردهم مخالفته يشنعون عليه ويغلظون له القول ويحذرون منه الأمة، وما أحسن ما قاله الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين؛ أما أحدهما: فرجل زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير، فلا يقتدى بزلته...، وآخر: عاند الحق، وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضال مضل شيطان مريد في هذه الأمة، حقيق على من يعرفه أن يحذر الناس منه، ويبين للناس قصته؛ لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك». اهـ

قلت: إلا إن كان ثمة ما يوجب مداراته فهم يدارونه بقدر ما يستدعيه المقام ويقتضيه الحال.

من وصاياهم بالإضافة إلى ما تقدم قول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الناس ثلاثة عالم ومتعلم وهمج رعاع يتبعون كل ناعق». وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم عن أصحاب محمد وأكابرهم فإذا أتاهم العلم عن أصغارهم هلكوا»، والمقصود بالأصاغر: هم المتصدرون للعلم والتعليم والدعوة وليست عندهم أهلية يبصرون بها الناس دين الله من الكتاب والسنة وعلى فهم السلف الصالح.

ومن وصاياهم ما أخرجه أبو عمر ابن عبد البر في التمهيد بسنده إلى أصبغ بن الفرج عن مالك بن أنس رحم الله الجميع قال: كان وهب بن كيسان يقعد إلينا ولا يقوم حتى يقولَ لنا: «اعلموا أنه لن يصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله»، قال أصبغ قلت لمالك: ماذا يريد؟ قال: «يريد بادئ الدين أو التقوى» والمعنى: أنه لا فلاح لمن أراد الفلاح ولا نجاة لمن أراد النجاة إلا إذا سلك مسلك أهل السمة الأول، كما مضى من حديث عبدالله بن

عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفيه قوله ﷺ: «**وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرَها بلاء وأمور تنكرونها**».

ومن الوصايا التي تناقلتها دواوين الإسلام عن أئمة أهل السنة والجماعة، قول أيوب السختياني رَحِمَهُٱللَّهُ: قال لي أبو قلابة: «يا أيوب احفظ عني أربعا: لا تقل بالقرآن برأيك وإياك والقدر -يعني لا تخاصم في أحاديثه لأنها من أمر الغيب-، وإذا ذكر أصحاب محمد ﷺ فأمسك، ولا تمكن أهل الأهواء من سمعك فيُقِروا فيه ما شاؤوا، أو قال: فينبذوا فيه ما شاؤوا».

وسئل الفضيل بن عياض رَحِمَهُٱللَّهُ عن قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾، قال: «أخلصه وأصوبه». قالوا: ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: «أن يكون خالصاً لله صواباً على سنة رسول الله». هذه العبارة هي تلخيص لما استقر عند أهل السنة مما دل عليه الكتاب والسنة ومشى عليه الأئمة من السلف الصالح أن العمل لا يكون صالحا حتى يستجمع أمرين هما شروطُ قبوله:

أحداهما: تجريد الإخلاص لله.

و ثانيهما: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

و لهذا قال علماؤنا العمل إن فقد الإخلاص لله كان شركاً أو رياءاً وإن فقد المتابعة لرسول الله كان بدعة ومتى جمع العمل الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ كان عمل أهل التوحيد والسنة. وبهذا يعلم أن أعمال الناس وأقوالهم التي تظهر لا تزن بنتائجها لا تزن بما ينشئ عنها بل تزن بهذين الشرطين وهما: الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ ، ولهذا يقسم علماء الإسلام العمل من حيث اجتماع الإخلاص فيه لله والمتابعة لرسوله ﷺ إلى أقسام أربعة :

أحدها: ما كان خالصاً لله موافقا سنة رسوله ﷺ.

و ثانيها: ما كان خالصاً لله غير موافق للسنة.

و ثالثها: ما كان موافقاً للسنة وغير خالصا لله.

و رابعها وأظنكم أدركتموه: ما كان غير خالصاً لله وغير موافق للسنة.

وعند وزن هذه الأصناف الأربعة بميزان الحق ونظر البصيرة المبنية على العلم والفقه يتبين أن المقبول منها عند الله هو صنف واحد، فما هو؟

الأول، لماذا؟ لأنه جمع شرطي قبول العمل: الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ.

وبقي سؤالان:

السؤال الأول :إلى أي شئ يلجئ المسلم مستعيناً بالله في السلوك إلى هذا الملجئ؟

أولاً: العلم، علم الشرع وحد علم الشرع: هو فقه الكتاب الكريم وفقه سنة النبي ﷺ وعلى فهم السلف الصالح وهم: كل من مضى بعد رسول الله ﷺ على أثره وأساسهم الصحابة رضي الله عنهم ثم أئمة التابعين كسعيد بن مسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير وأمثالهم ومن بعدهم كأصحاب المذاهب الأربعة المتبوعة المحترمة وسائر الأئمة من أهل القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية في غير ما حديث ومنها قوله ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

ثانياً: الارتباط بأهل العلم الفضلاء الذين عرف الناس منهم الاعتقاد الصحيح والمنهج الصحيح في تقرير أحكام الله عقيدة وعملا وأتوا رسوخا في العلم وكل أصحاب النبي ﷺ أهل فقه وعلم وإن كانوا يتفاوتون ثم من سمينا ثم من اقتفى أثرهم كالبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وشعبة بن الحجاج، والليث بن سعد، والسفيانين، والحمادين، ومن بعدهم كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلامذته، ومنهم ابن القيم، وابن كثير، ثم من بعدهم ممن من الله بهم على الأمة فهداهم بهم إلى الصراط المستقيم والمنهج القويم، مثل الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن خلفه من أبنائه، وأحفاده، وإخوانه أئمة الدعوة، فإن الارتباط بهؤلاء العلماء والانضمام إليهم والأخذ عنهم من كتب من مضى منهم ومشافهة من كان حياً منهم هذا سبيل من سبل النجاة، وطريق من طرق السعادة، وإلى ذلكم الإشارة بقوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً**

فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»، وهؤلاء هم الأئمة المضلون في كل زمان ومكان،نسأل الله لنا ولكم العافية في الدين والدنيا والآخرة.

ثالثاً: الإقبال على دواوين الإسلام التي نقل فيها مصنفوها أصول الإسلام وفروعه، ومن تلكم الكتب -بالإضافة إلى كتب من سمينا-: التوحيد لابن خزيمة، والتوحيد لابن منده، ومكتبة شيخ الإسلام ابن تيمية، ومكتبة تلميذه شيخ الإسلام ابن القيم، ومكتبة شيخ الإسلام المجدد في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، والذي ناصره على التجديد أخوه الأمير الإمام محمد ابن سعود رحم الله الجميع، فإن هذه فيها بغية المسلم من التعرف على السنة بل وفقهها، واستعمالها مع الموافق والمخالف، والذب عن السنة، والذب عن أهلها، هذا هو الأمر الأول.

و أما الأمر الثاني والذي فيما يبدو لي وهو سبب ما يوجد من انحراف عن السنة وقد يكون هذا الانحراف حمل لوائه رجال مضى آباؤهم على السنة فيما نحسب، فما سبب ذلك؟

السبب الأول: تصدر أناس وإن كانوا متخصصين في بعض علوم الشرع، متخصصون في العقيدة في التفسير في القراءات تصدرهم للعلم والتعليم وليست عندهم أهلية يحسنون بها تعليم الناس السنة بل تسمع ما بين الفينة والفينة على ألسنتهم قواعد شاذة ليس لها نظير عند السلف، مثل:

- تعريف أهل السنة للإيمان بأنه: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، قال: هذا هو الإيمان الكامل! وهذه القاعدة لم توجد في ديوان من دواوين الإسلام التي دوّنها أئمة أهل السنة.

- وقاعدة أخرى وهي: النقد للجماعات والمناهج لا للأفراد!. والمتقرر عند أهل السنة جرح ما لا يحصى من الأفراد لفساد منهجهم وعقيدتهم بل جرحوا أناسا خيرين لسوء حفظهم وأنهم ليسوا أهلاً للرواية.

- وقاعدة ثالثة: يصف بعض الناس فيقول: هؤلاء مرجئة أهل السنة!.

إذن من الذي يمنع أن يأتي آخر فيقول: جهمية أهل السنة! معتزلة أهل السنة! أشاعرة أهل السنة! خوارج أهل السنة! إذا الكل أهل سنة فلماذا العيب والنقد؟! وبلية هؤلاء أنهم فصلوا تخصصاتهم عن الكتاب والسنة، لم يبنوا تخصصاتهم التي نالوا فيها شهادات عالية دكتوراه وأستاذية مشاركية أو أستاذ كرسي كما يسمونه إلى غير ذلك من المناصب وهو شاذ في تقريراته عما كان عليه أهل السنة والجماعة هذه بليته.

السبب الثاني: عزوف كثير من ناشئة أهل الإسلام عن دواوين الإسلام إلى الكتب الفكرية، فتتلمذوا عليها حتى أشربتها قلوبهم وتشربت بها عروقهم فحملوا لواء العداوة على أهل السنة بل على السنة ومن تلكم الكتب الفكرية التي يجب الحذر منها لأنها كانت سببا في انحراف كثير من ناشئة أهل الإسلام حتى نبتت نابت الخوارج بين أهل السنة من قعدية ومحاربة، من تلكم الكتب:

كتب سيد قطب عامة وخصوصاً (معالم في الطريق)، و(التصوير الفني)، وكتب أبي الأعلى المودودي، وكتب حسن البنا؛ فإن هذه لا تحمل من السنة -إن كان فيها سنة- إلا النزر القليل مغمور بأضعاف مضاعفة من الباطل، نسأل الله العافية والسلامة، ففيها التجهم، وفيها تعطيل الصفات، وفيها الدعوة إلى وحدة الأديان، إلى غير ذلكم من الضلالات، فوصيتي لمن يبتغي النجاة لنفسه من المسلمين والمسلمات أن يهجروا هذه الكتب، وأن يعودوا إلى علمائهم، وما خلفه أئمتهم من جديد، حتى تقوى بهم شوكة أهل السنة ويسد الطريق على أهل البدع.

ومن الأسباب التي أدت إلى الانحراف وحملت من غرائب الأقوال من الدعوة إلى المظاهرات والاعتصامات والإضرابات كثيرٌ من البعوث التي تبعثها الدول الإسلامية إلى المعسكر الشرقي أو الغربي الكافِرَين للإفادة مما عندهم من العلوم، المسلمون في حاجة إليها فيغيبون عن أوطانهم سنوات ويعودون ذئاب ووحوش كاسرة في ثياب أناسي، تسمع منهم كلمات الكفر وتسمع منهم الدعوة إلى الخروج وتسمع منهم شعارات الجاهلية مثل: «يجب على الشعوب أن تشارك في صنع القرار»، «يجب أن يسمع قول الشارع»، «يجب أن يتنفس

الناس الحرية»، «يجب سماع رأي المواطن»، والنتيجة أن الحاكم المسلم دمية يحركونها فتتحرك، ومن ذلكم قولَ رجل مفكر لما حصل في البحرين ما حصل والحمد لله على سلامة البحرين وسلامة أهلها من عداوة أهل البدع، قال رجل في قطر آخر مجاور: نعم يجب أن تقال الوزارة لأن هذا قول أكثر أهل البلد وهم الشيعة، ولو شئت لسميته وأنا أظن أن ذلك المفكر رافضي متستر ليس بإخواني فقط.ومنها ما وجه إلى خادم الحرمين الشريفين بتوقيع سلمان العودة وخمسة وعشرين آخرين فيهم امرأتان ،خلاصتها الدعوة إلى الديمقراطية والدعوة إلى الحرية المطلقة المنفلتة، ومنها -من الشعارات المغرضة شعارات الجاهلية- ما سماه أهله: (حزب الأمة) وعلى رأس موقعيه: أحمد آل غرم الغامدي أظنه أستاذا في جامعة أم القرى، دعوة إلى حزب، هذا كما قدمت من إملاءات المعسكرين: المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي، المعسكر الشرقي تتزعمه روسيا، والغربي تتزعمه أمريكا.

جعل الله بأسهم بينهم وكفانا شرهم بما يشاء، هذا ما يسر الله سبحانه وتعالى، وأقدم العذر سلفا لأني لم أوف المقام حقه، ولكن هذا جهدي وصلى اللّهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

السؤال الأول: هناك من يقول أن كلمة المنهج محدثة ومن المصطلحات البدعية فما قولكم؟ وما تعريف كلمة المنهج؟

هذه مجازفة من القول، وصف المنهج بأنه كلمة محدثة!، والذي يصف المنهج هذا الوصف؛ خالف النص والإجماع. قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «سبيل وسنة»، يعني لكل أمة منهاجا تقرر فيه أحكام الله.

وأما تعريفه:

فالمنهج لغةً: الطريق المنتهج الذي يسلك.

والمراد به شرعاً: ما تقرر به أحكام الله عبادة ومعاملة وفق الكتاب والسنة وعلى فهم السلف الصالح.

السؤال الثاني: فضيلة الشيخ ما معنى قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «بأن نوع الخلق قديم»، وهل يقصد الصفة أم الفعل؟

أقول: الخلق فيما فهمته مثل الكلام هو صفة فعلية باعتبار وذاتية باعتبار، فمن حيث نوعه وأن الله خالق أزلا وعلى الدوام ؛ هو صفة ذاتية، ومن حيث أفراده التي تحدث متتابعة هو صفة فعلية، فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ : «بأن نوع الخلق» من حيث أنه صفة ذاتية.

السؤال الثالث: هل يثبت صفة النظافة واسم النظيف لله عز وجل؟

أسماء الرب جل وعلا توقيفية؛ فلا يُثبت لله اسم ولا صفة إلا بدلالة الكتاب والسنة الصحيحة، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ : «لا نجاوز القرآن والحديث»، يعني: في صفات

ربنا جل وعلا. وحتى هذه الساعة أنا لا أعلم شيئا في هذا الباب سوى قوله ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**».

السؤال الرابع: ما صحة حديث: «اختلاف أمتي رحمة»، وحديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»؟

ليس هذان الحديثان صحيحين بل هما ضعيفان ولا تقوم بهما حجة.

السؤال الخامس: أشكل علي أنه قد يُتكلم في رجل كان من أهل السنة فيؤدي هذا إلى تتبع أخطائه في الكتب القديمة التي أثنى عليها العلماء فأين هذه الأخطاء قبل الرد عليه؟

أولاً: قدمت في الكلمة ما مفادة أن أهل السنة لا يقبلون المخالفة سواءا كانت المخالفة في كتاب أو في غيره، لكن يفرق كما ذكرت لكم بين صاحب السنة وبين صاحب البدعة، فصاحب السنة محترم ولو رُدَّ عليه.

ثانياً: ليس تتبع الأخطاء والتنبيش عنها من منهج أهل السنة، هذا ألصقه بهم المتحزبة المتفلسة. أهل السنة ما كان مستورا جعلوه مستورا وما ظهر ردوا عليه وإن كان صاحب سنة ويحضرني الآن حديث أخرجه الطيالسي، وأحمد، والسجستاني، والبغوي، وهو صحيح بجموع طرقه: قيل لعبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول أبو محمد: «الوتر واجب». قال: «كذب أبو محمد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس صلوات افترضهن الله على عباده...**» الحديث، هذا أمر.

أمر آخر :من البلايا اعتقاد أن صاحب السنة لا يُخطئ!

لا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، العصمة في إجماع الأمة وأما الأفراد فيخطئون ويرد أهل السنة بعضهم على بعض من عهد الصحابة إلى اليوم.

أمر آخر: ما كان من الأخطاء في الكتب فإن أهل السنة لا يعرضون له لكن إذا دُّرس هذا الكتاب يبين وجه الخطأ ويعلق عليه في حينه.

وهنا أمر: وهو أن المتحزبة ينقمون علينا مثل رد الشيخ ربيع حفظه الله على سيد قطب في عدة كتب منها: أضواء على عقيدة سيد قطب. **ويقولون: لماذا لا تردون على ابن حجر والنووي ولهم من الأخطاء ما لهم؟!**

نقول:

هذه المقارنة خاطئة من ثلاثة أوجه:

الأول: أن الرجلين النووي وابن حجر خير من سيد قطب أضعاف مضاعفة لهم جهود عظيمة في خدمة السنة في شرح أحاديث النبي ﷺ وليسا معصومين من الخطأ.

الثاني: أهل العلم ردوا على النووي وابن حجر رداً معلقاً على كتبهم حينما تُدرس كتبهم.

الثالث: لم تتخذ أخطاء ابن حجر والنووي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ منهجاً تعارض به السنة ويُدعى إليه ويقرر على أنه الحق أبداً، وإنما هذا كان في منهج سيد قطب هو الذي تعارض به السنة، ومن عرف كتاب (معالم في الطريق) تبين له البيان الجلي الواضح أن الرجل حامل لواء التكفير في هذا العصر.

السؤال السادس: هل يشفع النبي ﷺ في عصاة المسلمين؟

نعم في عصاة الموحدين، من مات على التوحيد ولقي الله على كبيرة ولم يتب منها يشفع النبي ﷺ فيه ويشفع فيه الملائكة والصالحون من عباد الله.

السؤال السابع: كيف نصنع مع من قام بتزكيته بعض العلماء لحسن الظن به أو لكتابته مقالاً في أحد أهل البدع ولكن أفعاله تناقض هذه التزكية من كذب وطعن في السلفيين ورميهم بالألفاظ القبيحة بل وكذب على بعض العلماء إلى غير ذلك، فماذا نفعل مع من كان هذا حاله؟

أقول: علماء أهل السنة وأئمتها لا ينزل عليهم وحي من السماء بل يزكون من يزكون لما أظهره من السنة والذب عنها وعن أهلها ونشر كتب فيها والرد على المخالفين بناءاً على هذا يزكونه حسب ما أظهر فإذا انحرف عن ذلك وتنكر لأهل السنة والى أهل البدع ونافح عنهم فإنهم يعاملونه بما يستحقه في ذلك هذا ليس غريباً، الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يزكي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى ويقول: حدثني الثقة.

والعلماء غيره جرحوه، سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن إبراهيم هذا قيل: أثقة هو؟

قال: لا ولا في دينه.

فتزكية الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم تضر الشافعي إمام عندنا عند جميع من عرف قدره من أهل الإسلام والسنة ولكنها لم تنفع إبراهيم بن أبي يحيى، لأن العلماء جرحوه والقاعدة: «من علم حجة على من لم يعلم».

السؤال الثامن: رجل يدعي أنه سلفي رمي زوجتي بالزنا بدون أن يأت بشهود ولا بينة وينشر هذا بين الناس، فما موقفي بارك الله فيكم؟

هذه الفعلة فسقية ولست كفرية ولا بدعية، هي فسقية، ولك الحق أن ترفع أمره إلى الحاكم المسلم لديكم حتى يقيم عليه حد القذف إذ لا بينة عنده، وإن لم يكن هناك حاكم مسلم فلك أنت وزوجك أن تدعوا الله عليه، إذا كان الأمر كما ذكرت.